الباب الخامس والأربعون

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى : ﴿ **وبَشِّرِ الَّذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ كلَّما رُزقوا منها من ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبلُ وأُوتُوا به مُتشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مُطهرةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل : أي شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد أن هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار [و] هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة ؟

قيل : فيه قولان : ففي « تفسير » السُّدي عن أبي مالك، وأبي صالح : عن ابن عباس، وعن مرَّة ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ **قالوا هذا الذي رزقنا منْ قَبلُ** ﴾ أنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلمَّا نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا . قال مجاهد : ما أشبهه به، وقال ابن زيد: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، ﴿**وأتوا به متشابهاً**﴾ يعرفونه، وقال آخرون : هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنّة ، من قبل هذا، لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

إحداها : أن المشابهة التي بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

الحجة الثانية : ما حكاه ابن جرير عنهم قال : ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما [كان] . حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي، حدثنا سفيان سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة، وذكر ثمر الجنة، قال : كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى .

الحجة الثالثة : قوله : ﴿ **وأتوا به متشابهاً** ﴾ وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم ﴿ **هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ .

الحجة الرابعة : أن من المعلوم أنه ليس كلّ ما في الجنة[1] من الثمار قد رزقوه في الدنيا، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ، ورجحت طائفة، منهم : ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجت بوجوه.

قال ابن جرير: والذي يحقق صحة قول القائلين: أن معنى ذلك ﴿**هذا الذي رزقنا من قبل**﴾ في الدنيا، أن الله جلَّ ثناؤه قال: ﴿**كلَّما رُزِقُوا منها من ثَمَرةٍ رِزْقاً**﴾ يقولون: ﴿**هذا الذي رزقنا من قبلُ**﴾ ولم يخصص أن ذلك من قيلهم في بعض دون بعض، فإن كان قد أخبر جلَّ ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلّما رزقوا ثمرة، فلا شكَّ أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة، واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذا[2] كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله، كما هو من قيلهم في وسطه، وما يتلوه، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل، هذا من ثمار الجنة، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق [رزقوه] من ثمارها، ولما يتقدمه عندهم غيره منها : هذا هو الذي رزقناه [من] قبل، إلا أن ينسبهم ذو غَيَّة[3] وضلال إلى قيل الكذب، الذي قد طهرهم الله منه ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم، لأول رزق يرزقونه من ثمارها، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب، دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أن معنى الآية : كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقاً ، قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا[4] .

---

(١) في الأصل : الحجة .

(٢) في الطبري : فإذ .

(٣) في الطبري : ذو غِرَّة . قال في « القاموس » . ولد غَيَّة ، ويكسر : زنية . والغِرُّ : الذي لا تجربة له .

(٤) انظر الطبري ١/ ١٧١ ـ ١٧٢ .

قلت : أصحاب القول الأول يُخصُّون هذا العام بما عـدا الرزق الأول، لدلالة العقل والسياق عليه، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن، وأنت مضطر إلى تخصيصه، ولا بدَّ بأنواع من التخصيصات :

أحدها : أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا، لا يقال فيها ذلك .

الثاني : **أن كثيراً من أهلها** لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة .

الثالث : أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القـول أبد الآبـاد، كلَّما أكلوا ثمرة واحدة قالوا : هذا الذي رزقناه في الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية، والقرآن العزيز لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو ممـا يعتنى به من نعيمهم ولـذتهم، وإنما هـو كـلام مبين خـارج على المعتـاد المفهوم من المخاطب .

ومعناه : أنه يشبه بعضه بعضـاً ، ليس أوله خيـراً من آخره، ولا هـو مما يعرض له ما يعرض لثمر الدنيا عند تقادم الشجر، وكبرها من نقصـان حملها، وصغر ثمرها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره، وآخره مثل أوله، وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً ، فهذا وجه قولهم، ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانـه وتعالى، ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بـوجه، والـذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره، وأكثر منه ، والله أعلم .

وأما قوله عز وجل : ﴿ **وأُتوا به مُتَشابهاً** ﴾ [فقال الحسن : خيار كلّه لا رَذْل فيه ، ألم تروا إلى ثمر الدنيـا كيف يسترذلـون بعضه، وأن ذلـك ليس فيه رذل ؟ وقال قتادة : خيارٌ لا زَذْل فيه، فإن ثمار الدنيا ينقى منها، ويُرذل منهـا، وكـذلك قـال ابن جريـج وجماعـة ، وعلى هذا، فـالمراد بـالمتشابـه المتوافق والمتماثل .

وقالت طائفة أخرى ، منها ابن مسعود، وابن عباس، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : متشابهاً في اللون والمرأى، وليس يشبـه الطعم الـطعم ، قال

مجاهد: متشابهاً لونه مختلفاً طعمه، وكذلك قال الربيع بن أنس، وقال يحيى بن أبي كثير: عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم ولدان بالفاكهة، فيأكلونها، ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفاً، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد، والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل: ﴿ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قَبلُ وأُتوا به مُتشابِهاً ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقالت طائفة: معنى الآية: أن يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب. قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا: التفاح بالتفاح، والرمان بالرمان قالوا في الجنة: هذا الذي رزقنا من قبل، وأُتوا به متشابهاً يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم، واختار ابن جرير هذا القول، قال: وقد دلّلنا على فساد قول من قال: إن معنى الآية: هذا الذي رزقنا من قبل، أي في الجنة، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول، هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله: ﴿ وأُتوا بِهِ متشابهاً ﴾ أن الله سبحانه [وتعالى] أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهاً.

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم، وقال تعالى: ﴿ جناتُ عَدْنٍ مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ * مُتَّكئينَ فيها يَدْعونَ فيها بِفاكِهَةٍ كثيرةٍ وشراب ﴾ [ص: ٥٠ ـ ٥١] وقال تعالى: ﴿ يَدْعونَ فيها بِكلِّ فاكهةٍ آمنينَ ﴾ [الدخان: ٥٥]، وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ التي أُورِثْتُموها بما كُنتُمْ تَعْمَلُون * لَكُم فِيها، فاكِهةٌ كثيرةٌ مِنها تأكلون ﴾ [الزخرف: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿ وفَاكِهةٍ كثيرةٍ. لا مَقطوعةٍ ولا مَمنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ ـ ٣٣] أي لا تكون في وقت دون [وقت]، ولا تمنع ممن أرادها، وقال تعالى: ﴿ فَهُوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ * في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُها دانيةٌ ﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٣] والقُطوف: جمع قطف، وهو ما يقطف، والقَطف، ـ بالفتح ـ الفعل، أي ثمارها دانية: قريبة ممن يتناولها، فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم. وقال تعالى:

﴿ ودانيةً عَلَيهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً ﴾ [الدهر ١٣ ـ ١٤] قال ابن عباس : إذ همَّ أن يتناول من ثمارها نزلت إليه حتى يتناول ما يريد، وقال غيره : قربت إليهم مذللة كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين، فيكون كقوله : ﴿ قُطُوفها دَانِيةٌ ﴾ . ومعنى تذليل القطف : تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذَلَّلَ النخلَ، أي سوَّى عذوقه وأخرجها من السعف، حتى يسهل تناولها، وفي نصب دانية وجهان:

أحدهما : أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين .

والثاني : أنه صفة لجنة، وقال تعالى : ﴿ فِيهما مِنْ كُلِّ فاكِهةٍ زوجانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] ، وفي الجنتين الأخريين ﴿ فِيهما فاكِهةٌ ونَخْلٌ ورُمَّانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما ، وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفواكه ، وأطيبها وأحلاها . وقال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فيها مِنْ كلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ مِنْ رَبِّهِم ﴾ [محمد : ١٥] .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا علي ابن المديني، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عبّاد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ إذا نزع ثمرةً من الجنةِ عادتْ مكانَها أخرى»[1].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد : حدثني عقبة بن مكرم العمي، حدثنا ربعي بن إبراهيم ابن عُلَيَّة، حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اهبطَ الله آدمَ [عليه السلام] من الجنةِ، وعلمه صنعةَ كلِّ شيءٍ ، وزودَهُ من ثمارِ الجنةِ، فثماركم هذه من ثمار

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٤٩)، والبزار (٣٥٣٠) و(٣٥٣١) في ثمار الجنة: إلا أنه قال: «عيد في مكانها مثلاها»، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/٤١٤ وقال: رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

الجنةِ، غيرَ أنها تغير، وتلك لا تغيرُ »[1] . وقد تقدم : أن سدرة المنتهى نبقها مثل [القلال][2].

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « عُرضتْ عليَّ الجنةُ حتى لو تناولتُ منها قِطفاً أخذتُهُ » ، وفي لفظ : « فتناولتُ منها قِطفاً فقصرتْ عنه يدي »[3] .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا عبد الله ، حدثنا ابن عقيل، عن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحنُ في صلاةِ الظهرِ إذ تقدمَ رسولُ الله ﷺ فتقدَّمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه، ثم تأخرَ، فلما قضى الصلاةَ قال له أُبيُّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله، صنعتَ اليومَ في الصلاةِ شيئاً، ما كنتَ تصنعُهُ؟ قال: «إنه عرضتْ عليَّ الجنةُ وما فيها من الزهرةِ والنضرةِ، فتناولت منها قِطفاً من عنب لآتيكم بـه ، فحيل بيني وبينـه، ولو أتيتكم بـه لأكل منـه من بينَ السماءِ والأرضِ لا ينقصونَهُ »[4] .

وقال ابن المبارك : أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : « ثمرُ الجنةِ أمثالُ القلالِ والدلاءِ ، أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسل، وألينُ من الزُّبْدِ، ليس فيه عَجَم »[5] .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا شريك، عن أبي إسحاق البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ يأكلونَ من ثمارِ الجنةِ قياماً وقعوداً، ومضطجعينَ على أيِّ حالٍ شاؤوا »[6] .

---

(١) ذكره ابن كثير في « النهاية » ٢/٤٢٧ ، ونسبه إلى الطبراني .

(٢) انظر «مصنف» ابن أبي شيبة ١٣/٩٨ (١٥٨١٢) وفيه عن أنس مرفوعاً: «لما انتهيت إلى السدرة إذ أورقها مثل آذان الفيلة، وإذا بنقها أمثال القلال. . .».

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٠٤) في الكسوف : باب (٣) ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

(٤) أخرجه أحمد ٣/٣٥٢ ـ ٣٥٣ مطولاً .

(٥) قطعة من حديث أخرجه ابن المبارك (١٤٨٨) مطولاً، والبيهقي في « البعث » (٣١١) وقد تقدم ص ٢٢٤ ت (٥).

(٦) أخرجه البيهقي في «البعث» (٣١٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٠٠ وزاد نسبته =

وقال البزار في « مسنده » : حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا محمد بن المهاجر، عن الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى قال : حدثني كريب أنه سمع أسامة ابن زيد رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألا مُشمرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنةَ لا خطر لها، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطّردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحللٌ كثيرةٌ في مقام أبدٍ، في دارٍ سليمةٍ، وفاكهة وخِضرةٍ، وحِبَرةٍ ونَعْمَةٍ في مَحَلّةٍ غالية بهية » ، قالوا • نعم يا رسولَ الله، نحنُ المشمرون لها : قال : « قولوا : إن شاء الله»، قال القوم : إنْ شاءَ الله(١).

قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا ارجل محمد بن مهاجر .

وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبدالله بن أحمد في « مسند » أبيه وغيرهِ : قلت : يا رسولَ اللهِ على ما نطّلع من الجنةِ ؟ قال : « على أنهارٍ من عَسلٍ مُصفًى، وأنهارٍ من كأسٍ ما بها صُداع، ولا نَدامةٌ، وأنهار من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُهُ، وماءٍ غيرِ آسنٍ، وبفاكهة لعمرُ إلهكَ مما تعلمون، وخير من مثله معه»(٢) وأما الريحان : فهو كل نبت طيب الرائحة، قال الحسن وأبو العالية : هو ريحاننا هذا، يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

= إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، وعبدالله بن أحمد في زوائد «الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٢) في الزهد : باب (٣٩) صفة الجنة، والأصبهاني في « الترغيب » (٩٧٦)، وابن حبان (٢٦٢٠) في «الموارد»، والبيهقي في «البعث» (٤٣٣)، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٣٦. ولم نجده في المطبوع من «كشف الأستار».

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد (٤/ ١٤) وتقدم .